

وقد زاد بعض الفلاسفة فقالوا: أنه يجب أن يكون العامل صديق العامل في جميع الدول، وأن يكونوا ألبا واحداً على الرأسماليين حتى يتم الظفر الأخير للكادحين والفقراء والمعوزين. قلنا: أن هذا طريق من الطرق، فيه تمزيق الأمة إلى طوائف يعادى بعضها بعضاً، وإلى سيع تتغالب وتتناحر، فإن قيل: أن الطريق الثاني هو الطريق الطبيعي، لأنه مبني على مبدأ المقاومة، وقد أشار إليه الإسلام وأقره في قوله: "ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض". قلنا: وأن الطريق الأول صحيح أيضاً وطبيعي، وهو مبني على مبدأ المقاومة أيضاً، فقد أراد الإسلام أن تكون القوة في جانب مبادئه لتغالب النزاعات المخالفة، وقد كان الأمر كذلك في زمن الخلفاء الراشدين، فقد كانت قوة السلطان مع المبادئ الإسلامية، ولما انحرف السلطان عن أصول المبادئ الإسلامية في زمن بنى أمية والعباسيين والملوك الذين بعدهم ضعفت المبادئ الإسلامية الاجتماعية والاقتصادية ومنها المساواة. وهذا يسلمنا إلى اعتراض آخر قوى، كيف تحرس الذئب على الغنم، أو كما يقول المثل العامي: كيف تعطى القط مفاتيح البني، أن الحكام قد ينتفعون بإبطال هذه المبادئ، لاسيما إذا كانت توجب عليهم حقاً فيبطلونها، وأنت قد اعترفت بهذا في ملوك بنى أمية ومن بعدهم، فقد قلت لما انحرف السلطان عن المبادئ الإسلامية ضعفت هذه المبادئ، فقد ترك الإسلام لضمير الرعاية الديني، فإن قوى حكم بالعدل، وإن ضعف جار وظلم، وأضاع المبادئ الإسلامية التي جاءت بالقسط، والأمراء والحكام بشر من البشر، يعتربهم الطمع والجشع، والحب والبغض، والرضا والسخط، وقد يعترى ضميرهم الديني الضعف والقوة، بل هو عرضة للزوال فتسلم المبادئ الإسلامية إلى حارس غير أمين، وأصدق شاهد على ذلك التاريخ. وجوابنا عن هذا أن الإسلام لم يسلم السلطات كلها للملوك والأمراء، بل جعل سلطة عليا هي سلطة أولى الأمر، وأولوا الأمر هم قوم من الأمة لهم علم بالأمور،